الانتحار وعلاقته بالشخصية

للدكتور محمد حسني ولاية

حفزني إلى تناول هذا الموضوع الاجتماعي الهام انتحار عالمين من علمائنا هما الدكتور اسماعيل أدهم ، والأستاذ فخري أبو السعود . وقبل أن أبين العلاقة بين الشخصية والميل إلى الانتحار أقول إن بعض علماء النفس والعقل يميلون إلى تقسيم الشخصيات البشرية « الطبيعية » إلى سبعة أقسام اختيارية على غرار الأمراض العقلية والنفسية الرئيسية

الشخصيات :

١ — الشخصية الهوسية : يمتاز صاحبها بالنشاط والحركة المستمرة والاعتداد بالذات ، وهي تنطوي على كفاح بين الذات والضمير .

٢ — الشخصية الملانخولية : تتصف بالهبوط النفساني ، والكسل واليأس ، واتهام النفس ، واستحواذ الأفكار السوداء على صاحبها . وتمتاز أيضاً بكفاح بين الذات والضمير .

يقول فرويد إن محتويات الهوس النفسانية لا تختلف في شيء عن محتويات الملانخوليا ، وإن الشخص في كلا الحالين يصارع نفس المعقد Complex وإن الذات تستسلم لهذا المعقد في حالة الملانخوليا ولكنها تسيطر عليه أو تطرحه جانباً في حالة الهوس

٣ — الشخصية الوسواسية : يميل صاحبها إلى حسن الهندام والذوق السليم ، ولكنه كثير التردد ضعيف الإرادة . وينطوي الوسواس على كفاح بين الذات ومستقر الغرائز الجنسية في العقل الباطن

٤ — الشخصية الهستيرية : تمتاز بتركيز الاهتمام على الذات egocentricity والأنانية الشديدة ، والاعتماد على معونة الغير . وتنشأ التصرفات الهستيرية من كفاح بين الذات ومستقر الغرائز الجنسية في العقل الباطن

لم يتم بعد للهجة القاهرة التغلب على لهجات المناطق المصرية المجاورة لها ، وفي القسم الفرنسي الناطق من سويسرا لا تزال اللهجات المحلية تقاوم الفرنسية الفصحى في المناطق الكاثوليكية (فاليه ، فريبورج Valais, Fribourg) ؛ على حين أنه قد تم انقراض هذه اللهجات أو كاد في المناطق البروتستانتية (نيوشاتل جنيف) وذلك لأن المناطق البروتستانتية من هذا القسم أرقى ثقافة وعلماً من المناطق الكاثوليكية وأقدم منها عهداً بالمدارس ، ولسان باريس قد تغلب بسهولة على اللهجات التي كانت منتشرة في إقليمي السين واللوار ، لقلة وجوه الخلف بينه وبينها ؛ على حين أنه لم يقو بعد على التغلب على لهجات جنوب فرنسا ولا يزال يلقى منها مقاومة عنيفة لكثرة الفروق التي تفصلها عنه

واللهجة التي يتاح لها التغلب في أمة ما على بقية أخواتها ، أو على معظمها تصبح غالباً « لغة الدولة » أو ما يطلق عليه اسم « اللغة القومية » أو « اللغة الفصحى » أو « لغة الكتابة » . فتعلم وحدها في مدارس الدولة ، ويجرى بها تدريس المواد المختلفة في معاهدها ، وتؤلف بها الكتب والصحف والمجلات ، وتصدر بها المكاتبات الرسمية وغيرها ، وتستخدم في مختلف مناحي الوعظ والخطابة ، وتلقى بها الأوامر ويجرى بها التخاطب في الجيش ، وهلم جراً [1] . فقد ترتب على تغلب لهجة باريس على معظم أخواتها أن أصبحت لغة الدولة بفرنسا ؛ وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغة الفرنسية. وهذا هو ما حدث عقب تغلب لهجة لندن بانجلترا ولهجة مدريد بأسبانيا ، واللهجة السكسونية بألمانيا والتوسكانية بإيطاليا ؛ فقد أصبحت هذه اللهجات هي اللغات الرسمية ، وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغات الإنجليزية والأسبانية والألمانية والإيطالية

وتسلك لغات الكتابة في تطورها طريقاً خاصة تختلف عن الطريق التي تسلكها لغات المحادثة . ولذلك نرى أن لغة الكتابة مع اتفاقها في المبدأ مع لهجة المحادثة الغالبة ، لا تلبث فيما بعد أن تختلف عنها في كثير من النواحي ، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينهما ، حتى تستقل كل منهما عن الأخرى . فلغة الكتابة بفرنسا مثلاً تختلف الآن عن لهجة المحادثة الباريسية اختلافاً غير يسير .

علي عبد الواحد وافي

---

(١) قد لا يكون للأمة أي لغة قومية مستقلة ، كما هو شأن النمسا ، فان لغتها هي الألمانية . وقد يكون للدولة أكثر من لغة رسمية واحدة ، كما هو شأن سويسرا ، فان بها ثلاث لغات رسمية : الألمانية والفرنسية والايطالية . وقد تكون اللغة الرسمية ولغة الكتابة في الأمة هي اللغة القديمة التي انشعبت منها لهجتها ، كما كان شأن اللاتينية بفرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال ورومانيا ، وكما هو شأن العربية الآن بمصر وبلاد العرب وشمال أفريقيا .

٥ — الشخصية القلقة : تتصف بالقلق ، وتوجس الشر ، وبلبلة الفكر ، والخوف من المجهول

يقول فرويد ليس للقلق صفة محدودة لعدم تعلقه بموضوع ما. وهو وليد دفاع الذات ضد خطر غريزى غير معروف . وكثيراً ماتصبح الحاجة الغريزية خطراً داخلياً ويؤدى إشباعها إلى التماس خطر خارجى يمثله الخطر الداخلى ، ولكى تتأثر الذات لا بد أن يتحول الخطر الخارجى الموضوعى إلى خطر داخلى غريزى

٦ — الشخصية البارانوياوية : تمتاز بإساءة الظن بالناس وتوقع الشر منهم وبهواجس اضطهادية منظمة ، وتنطوى على كفاح إيجابى بين الذات والبيئة

٧ — الشخصية الشيزية Schizoid personality : وتمتاز بالانزواء عن الناس والأنانية وانقطاع التعامل مع البيئة . وينتسب إليها كثيرون من الفلاسفة والأدباء . وتنطوى على كفاح سلبى بين الذات والبيئة

* * *

تبرز فى كل إنسان « طبى » ناحية أو أكثر من هذه النواحى الشخصية . والواقع أن شخصياتنا تتكون من خليط متفاوت من هذه الوحدات الشخصية ، وكلما ازداد تعدد جوانب الشخصية ازداد تعقدها وتعددت أمانيها

وأكثر الشخصيات التجاء إلى الانتحار الشخصيات القلقة والبارانوياوية؛ أما أكثرها ميلاً إليه فهى الشخصيات الملانخولية والقلقة والبارانوياوية وأحياناً الشخصيات الوسواسية

وكثيراً ما يحول الخمول المستحوذ على الملانخوليين وضعف الإرادة المتسلط على الوسوسين دون قتل نفوسهم . وإن أول ما يفكر فيه البارانوياويون هو الانتقام من الناس فيقتلون الزعماء والعظماء بسبب الهواجس الاضطهادية، غير أنهم ينتهون إلى التماس الانتحار إذا غلب عليهم اليأس . ويندر أن يلجأ الهستيريون إلى الانتحار ، لأنهم يحبون أنفسهم حباً أنانياً ويحرصون على سلامة أنفسهم

يقول فرويد فى صدد الانتحار « إن السادية Sadism هى التى تحل مشكلة النزعة إلى الانتحار . وقد أظهر التحليل أن الذات تعمد إلى الانتحار عند ما تنصب عليها طاقة موضوعية، وحينئذ تعامل الذات نفسها كموضوع object أى أنها توجه العداء الذى كان موجهاً إلى موضوع ما إلى نفسها »

إن الشخص الذى يميل إلى الانتحار شخص مريض ، وهو فى حاجة إلى العلاج النفسى ككل مريض بمرض عصبى ، فمتى ما حلت المعقدات النفسية Complexes وجب إعطاء المريض علاجاً عضوياً كالغدد الصماء والفيتامينات والأملاح المعدنية وغير ذلك لاستعادة النشاط الذهنى

ويتصف الراغب فى الانتحار ككل مريض بمرض عصبى بالمبالغة فى الطموح وشدة الحساسية والتماس الأمانى البعيدة المنال دون جهد ، والعناد والأنانية

والسبب فى أن كثيرين من كبار المفكرين يعمدون إلى الانتحار هو تعدد جوانب شخصياتهم وطموحهم الشديد وتلمسهم أهدافاً بعيدة المنال

ولا بد أن نبين أن إنهاك قوى العقل الواعى يؤدى إلى تقوية الباطن وظهوره على المسرح متحدياً العقل الواعى ، وحينئذ تتحكم فى النفس نزعات دفينة فى العقل الباطن ، قد تكون وجهتها التماس الموت

ولما كان للعقل الباطن علاقة وثيقة باتجاهات النفس ونزعاتها ونزواتها وتصرفاتها فقد رأيت أن أختم كلمتى بتفسير حلم رآه أحد مرضى العالم النفسانى « يونج » قال :

« حلم رجل مثقف فى الخمسين من العمر أنه حاول تسلق جبل عال فكان صعوده فى أول الأمر شاقاً ولكنه كلما أمعن فى الارتقاء كان التسلق أهون ، وبعد أن بلغ القمة مشى فى الفضاء ثم استيقظ

وبالتحرى علمت أنه رجل متمرن على تسلق الجبال بدون مرشد وأنه يشعر بلذة عند ما يرى نفسه فى موقف خطر، وقد كان عاثر الجد فى زواجه مشمئزاً من عمله ، وقد فسرت حلمه بالآتى :

عند ما كان متعلقاً بالحياة كان ارتقاء الجبل شاقاً إذ كانت تتنازعه رغبتان متضادتان : الرغبة الظاهرة فى الحياة والرغبة الدفينة فى الموت، ولكنه كلما أغرق فى استسلامه لهواه صار إليه الصعود أسهل

ولم يكن سيره فى الهواء سوى تعبير عن رغبته فى الموت وقد هوى من قمة جبل ومات بعد مضى نصف عام من هذا »

محمد مصطفى درويش
طبيب بصحة بلدية الاسكندرية